ونشاط جماهيري عارم ومحاضرات وندوات؛ النشاط السياسي يتغلغل في كافة أشكال النشاطات الجماهيرية؛ الاهداف الوطنية بطرد غلوب والغاء المعاهدة تجتذب الجيش وتبرز ظاهرة الضباط الوطنيين؛ تأثير مصر عبد الناصر على المناخ الشعبي في الاردن والمنطقة، كل ذلك تُوِّج بانتفاضة أواخر ١٩٥٥ التي أدت الى اسقاط حلف بغداد ثم إلى طرد غلوب والغاء المعاهدة البريطانية الاردنية وقيام حكومة النابلسي الوطنية.

«لقد انفجرت المظاهرات الغاضبة في كافة المدن والقرى في الضفتين، المظاهرات شملت جميع مدن الاردن، وامتدت الى قرى الكرك التي لم تعرف في تاريخها نشاطا سياسيا أو تظاهرة، فشاركت بقوة في المظاهرات وهاجمت مراكز الشرطة» (ص٦٨).

وفي معتقل الجفر آنذاك «كانت جموع المتظاهرين المعتقلين تأتي من الكرك وعمان والسلط ومادبا والزرقاء، ومدن أريحا والقدس ونابلس والخليل، كثرٌ وضُل عددهم بضع مئات، وكان المعتقلون يلبسون حماسا وكانت تنتصب حلقات الدبكة» (ص٦٩).

وفي هذه الفترة، تشكلت في طول البلاد وعرضها لجان التوجيه الوطني على أساس جبهوي عريض أخذت تدير المعركة ضد حلف بغداد كما عبأت الجماهير لمواجهة اية احتمالات ابان العدوان الثلاثي على مصر ومن أجل حماية المنجزات الوطنية في الاردن. ولكن بعد فشل العدوان الثلاثي على المنطقة، بدأت اميركا تنفذ مشروع ايزنهاور «ملء الفراغ» وسهّل على النظام تنفيذ انقلابه «التفسخ البادي في الجبهة الداخلية للحركة الوطنية».

«كانت الفترة – أواخر ١٩٥٦ وأوائل ١٩٥٧ – عاصفة، تنذر بالخطر الذي بدأ يتحسسه كل مواطن. ومع ذلك بقيت القوى الوطنية متفرقة، تزداد الخصومات بينها. وازداد نشاط الاخوان المسلمين» (ص٧٨). وجاء الانقلاب، فاقيلت الحكومة الوطنية، وتظلمت العمليات الواسعة لمطاردة الوطنيين وقمع وارهاب الجماهير.

وهنا يقف زيادين، وقفة وداع لمدينة القدس، يتقرّى دروبها وناسها؛ لقد كانت الاعوام الست التي عاشها في هذه المدينة، بمثابة حياة كاملة بغناها وعمقها، كانت أياما رائعة لا يمكن أن تنسى.

وتطول رحلة المطاردة والتخفي من بيت الى بيت، والنوم في العراء بين الكروم، والاختفاء ستة شهور في بيت سرّي في رام الله، يسكن فيه رفيقه عربي عواد مع زوجته وطفلته، ثم التشرد مجددا في الجبال والوهاد بين رام الله ونابلس الى ان يلقى القبض عليه غداة ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨. ففي ذلك اليوم حدث انهيار كامل في أجهزة الامن والشرطة، وخرجت الجماهير الى الشوارع تعبر عن فرحتها، ووزع الحزب بيان تضامن مع الثورة بشكل علني. لكن الانزال البريطاني في الاردن، أعاد للسلطة سيطرتها، وسيق الى السجن اناس عاديون كانوا قد عبروا عن فرحتهم بسقوط النظام العميل في العراق، والقي القبض على زيادين الذي كان قد تخلى عن الحيطة، وذلك في اليوم التالي للثورة في ١٥ تموز (يوليو) ١٩٥٨.

## معتقل الجفر الصحراوي

معتقل في عرض الصحراء يبعد ٤٥ كلم جنوب شرق معان، يوضع فيه المعتقلون في «بركسات» وخيم، يحيط بهم سور ارتفاعه اربعة امتار تعلوه ابراج المراقبة، محاط بالاسلاك الشائكة. والمعتقل أقسام: قسمان للشيوعيين، وقسم للمعتقلين الآخرين. وقد ظل هذا المعتقل يستقبل الشيوعيين من العمال والطلاب والموظفين والمثقفين طيلة عشر سنوات، وعندما أعلن العفو العام في نيسان (ابريل) ١٩٦٥ كان عدد الشيوعيين الذين خرجوا من الجفر ١٣٩ معتقلاً، ومعظمهم كان قد مضى عليه ثمانية أعوام متواصلة وبعضهم، مثل زيادين، كان قد زار الجفر مرات عديدة قبل سجنه الطويل في سنة ١٩٥٨.

لم يقم الشيوعيون في الجفر وحده طيلة فترة سجنهم، بل أخذوا للتحقيق وللتعذيب منذ سنة ١٩٦٠ في سجون أخرى، وقضى بعضهم في السجن الانفرادي عاما ونصف او عامين، وهو اقسى ما يواجهه المناضل من ارهاب كما يذكر زيادين مرارا.